تقديم

بقلم الدكتور إحسان حقي

منذ عرفتُ شبهَ القارة الهندية الباكستانية قبل ما يزيد على نصف قرن من الزمن ورأيت فيها من الأمور والعادات والأخلاق والأفكار والمعتقدات أشياء تختلف عما ألفناه في بلاد الناس، رأيتني قد اكتشفتُ عالماً جديداً غير ما كنت قرأت عنه أوسمعت به، رأيت بشراً أمثالنا يمشون على رجلين ولكنهم يختلفون عن بقية البشر كل الاختلاف فأردت الإيغال في التعرف إلى هؤلاء الناس حتى النهاية لتعريفهم إلى من لا يعرفهم. ولما كانت اللغة هي المفتاح إلى العقول وإلى القلوب، ولما كانت اللغة الأردية هي اللغة التي يتكلمها أهل الهند كلهم على درجات مختلفة فقد عكفت على تعلمها، ولما كنت أعرف اللغة التركية وشيئاً من الفارسية والإنكليزية بالإضافة إلى لغتي العربية فقد هان عليَّ تعلّم اللغة الأردية لأنها مؤلفة من هذه اللغات بالإضافة إلى قليل من الكلمات السنسكريتية. ثم إني تعلمت اللغة الهندية وهي صنو اللغة الأردية وبفضل اللغة تسنى لي الدخول إلى المجتمع الهندي من الباب الواسع وعاشرت كثيراً من أهل البلاد من مسلمين ومسيحيين وهنادكة وبوذيين وسيخ وسبرت أحوالهم ودرست آدابهم واطلعتُ بصورة خاصة على ما عند الهنادكة من أمور وعادات وعقائد تختلف كلَّ الاختلاف عما عند بقية شعوب العالم من متمدين وبدائي وقد أردت بعد أن استوعبتُ كل هذه الأمور أن أكتب كتاباً أعرِّفُ إخواني العرب بالهنادكة والهندوكية على حقيقتيهما غير ما كان يسمعه الناس فيما مضى عن المهاراجات والفيلة والثروات والسحر واليوغا والشعوذات وغير ذلك. ولكني رأيت أن ما سأكتبه سيكون موضع شك وقد لا يصدقه الناس لغرابته وبُعْدِهِ عن

المعقول والمنطق وعن الإنسانية أحياناً، ولذا رأيتُ أن ألجأ إلى طريقة أسلم وأضمن للنجاح وأصدق في تعريف الهنادكة والهندوكية بأقوال من عندهم فلجأت إلى ترجمة أحد كتبهم المقدسة والمسمى بـ (منوّ سمرتي) أي أحكام منو وشرعه. ومنو هذا هو أحد الآلهة عندهم. ففي هذا الكتاب يجد المرء كلَّ ما يجب أن يعرفه عن الديانة الهندوكية وأهلها وأحكامها.

وقد قارنت ما جاء في هذا الكتاب بكتب الديانات الثلاث العالمية: اليهودية والمسيحية والإسلام وعلقت عليه وقدَّمت له بمقدمة ضافية حصيلتها أن الديانة الهندوكية هي صنو الديانة اليهودية وهما من أصل واحد وبلد واحد، وإذا كان بينهما بعض الاختلاف فإنما هو بمفعول الزمن واختلاف البلد. وأنَّ من يقرأ التوراة أو ما يسمونه بالعهد القديم ويقرأ منّو سمرتي يجد في عادات القومين وعقائدهم وعباداتهم واعتقاداتهم من التشابه ما لا يدع مجالاً للشك بأن أصلهما واحد.

وكنت ما زلت أعتقد أن من يقرأ كتاب منّو سمرتي يستطيع أن يفهم الهندوكية على حقيقتها لا كما يريد الهنادكة عرضها مزيفة، كما أني كنت أظن بعد أن استقلت شبه القارة الهندية ـ الباكستانية في بلدين مستقلين: هندوستان وباكستان، وأصبح للهنادكة مع البلاد العربية صلات سياسية واجتماعية واقتصادية وتجارية وثقافية وعلمية وفنية وغير ذلك، أن يعكف زعماء العرب على دراسة كتاب منّو سمرتي دراسة وافية لكي يعرفوا شيئاً عن الديانة الهندوكية وعن الهنادكة وعن نياتهم نحو الإسلام والمسلمين، لكي يعاملوهم في نطاق الحدود التي يجب أن يعاملوهم بها، ولكن ما حدث دلني على أن أحداً من ملوك وأمراء ورؤساء وزعماء العرب وأدبائهم ومثقفيهم لم يطلع على هذا الكتاب لا بل ربما لم يسمع باسمه أيضاً ولذا كانت صلة هندوستان بالبلاد العربية لصالح الهنادكة وحدهم وعلى حساب الأمة العربية والإسلامية أيضاً وياللأسف.

وكنت أظن كما كان يظن غيري من العقلاء، أن الهنادكة بعد أن عاشروا المسلمين نحو اثني عشر قرناً وعاشوا في ظل حكمهم العادل آمنين على

أرواحهم وممتلكاتهم وعقائدهم محاطين بالرعاية والعناية التي يتمتع بها المسلمون وغير المسلمين، وبعد أن عاشوا نحو قرن من الزمن في ظل حكم أمة عصرية مثل الإنكليز، أن يكونوا بعد كل هذا قد تعلموا دروساً بالأخلاق والإنسانية وحسن المعاملة والمعاشرة وأنهم سيكونون بعد استقلالهم أمة مهذبة خليقة بالاستقلال والحرية ترعى حق الجار وتصون كرامة الإنسان، وترد للمسلمين إحسانهم بإحسان، وإذا بهم ينقلبون نموراً شرسة وذئاباً كاسرة وأفاعي سامة وكأنهم كانوا ينتظرون هذه الساعة السعيدة لكي يجعلوا منها مأتماً ومأساة للمسلمين، إذ ما كاد الجيش البريطاني ينسحب من البلاد حتى انقضوا على المسلمين يقتلون ويفتكون وينهبون ويدمرون منازلهم على رؤوسهم ويسلبون أموالهم ويعتدون على أعراضهم مما قد جاء ذكر بعضه في طيات هذا الكتاب. وإن ـ ذكره الكاتب الفاضل من أحداث إنما هو غيض من فيض ولو أراد الاسترسال في ذكر كل ما حدث أو في تفصيل بعض ما حدث لما كفاه بضعة مجلدات مثل هذا الكتاب ولكنه أراد الإشارة إلى القليل ليستخلص القارىء منه الكثير.

لقد قال شاعر البنغال الهندوكي الذي يسميه العرب طاغور: اللهم لا تجعلني أذبح الخراف ولا تجعل غيري يذبحني كالخراف. ولكن الهنادكة أهملوا هذا الدعاء المعقول وأخذوا يذبحون المسلمين بالآلاف ذبح النعاج أو الدجاج ودمروا منازل آلاف من الناس على رؤوسهم واغتصبوا الآلاف من النساء والبنات، وأجبروا الكثيرين على اعتناق الهندوكية وتغيير أسمائهم، وغير ذلك من الأمور التي لا يصدق إنسان أن ترتكب في مثل هذه الأيام مهما كان المرء دنيء الطبع ساقط المروءة فاقد الحس الإنساني.

إن ما فعله الهنادكة بالمسلمين وما زالوا يفعلونه، كلما اهتبلوا فرصة سانحة، وهي فرص كثيرة، يدفع إليها الزعماء رعاع الناس، وتتغاضى الحكومة عن المجرمين أو تستر هذه الأفعال بأقوال عاطفية.

لقد عالج الأديب الفاضل الأستاذ شريف المجاهد في كتابه هذا ناحية

واحدة من سيئات أعمال الهنادكة، وهي الناحية السياسية أو الاعتداءات الشائنة التي شنها الهنادكة على المسلمين بعد تقسيم البلاد، بينما هناك نواحٍ اجتماعية وأخلاقية وعقائدية تباعد بين الهندوكي وبين بني البشر لم يذكرها إلّا لماماً في حين أنها هي أساس كل ما حصل ويحصل من مآسٍ للمسلمين في شبه القارة حتى اليوم.

فالهندوكي ما زال إلى اليوم يقدس البقر ولا يجيز مسها بسوء، بله ذبحها وأكلها، ويقدس القردة والأفاعي وغيرها من الحيوانات وما زال فريق منهم يقدسون الفرج ومع كل هذه الجهالات العمياء والسخافات فإنهم ينظرون إلى غيرهم من الأمم وإلى المسلمين منهم بصورة خاصة نظرتهم إلى الأقذار والنجاسات لا بل ويذهبون إلى أبعد من ذلك في أوهامهم وسخافاتهم وصلفهم ويزعمون أن صوت المسلم نجس وظله نجس ولمسه ينجسهم وإذا مس المسلم آنية من أوانيهم تنجست ويجب كسرها لا غسلها لأنها لا تنظف بالغسل بزعمهم وصوت المؤذن للصلاة ينجس إلى حيث يسمع.

فهل يصدق عاقل أن في الكون أناساً يدينون بمثل هذا الدين أو يعتقدون مثل هذه الاعتقادات؟! لا شك أن من لم ير الهندوكي في بلده وفي محيطه ولم يعاشره ولم يطلع على ديانته لا يصدق ذلك، وحق له ألا يصدق، لأن مثل هذه العقائد لا تصدر إلا عن أناس شاذين منحرفين بينما هي الحقيقة الراهنة والواقع الذي يتمسك به كبيرهم ومتعلمهم قبل صغيرهم أو جاهلهم.

قلنا إن الهنادكة يقدسون البقر وليس الهنادكة وحدهم الذين عبدوا البقر وقدسوها من قبل، بل لقد عبد البقر كثيرٌ من الأقوام البدائية، فالفرس عبدوا البقر وكانوا يقدمون إليها القرابين واليهود عبدوا البقر ولم يكونوا يجيزون ذبحها، وقد لاقى موسى عنتاً حتى أقنعهم بترك عبادتها، وكان البابليون والمصريون يقدسون البقر أيضاً، ولكن كل هذه الأقوام ترفعت عن هذه السخافات حينما عقلت، إلا الهنادكة من دون الناس أجمعين ما زالوا إلى يومنا هذا كما كانوا قبل أربعة آلاف سنة، يوم أتوا من العراق إلى الهند، يرون في البقر حيواناً مقدساً أو إلهاً في

صورة حيوان، وكم ذبحوا من البشر ويذبحون في سبيل بقرة تذبح!! وياليتهم وقفوا عند هذا الحد من تقديس البقر بل قد انحطوا إلى درجة لا تصدق بهذا الصدد، إذ أنهم لا يرون البقر مقدساً فقط بل يرون «خثي» البقر طاهراً مطهراً. فإذا طلى المرء جسمه بخثى البقر أو طلى مكاناً بخثي البقر فإنهما يطهران(راجع الفقرة ١٠٥ من الباب الخامس كتاب منّو سمرتي) وهم يفرضون تعليم أولاد المسلمين تقديس البقر في المدارس.

والأفظع والأقذر من ذلك هو أن الهنادكة يتطهرون من الذنوب الكبيرة التي لا كفارة لها ولا غفران بأكل مزيج يسمونه (بانج گو) وهو مركب من خمسة أشياء تخرج من البقرة وهي: بولها وخثيها وحليبها ولبنها وزبدتها (انظر الفقرة ٣١٣ من الباب الحادي عشر من منّو سمرتي) فهل هؤلاء الناس بشر أم حشرات؟ إن الحشرات القذرة كالصراصير والجُعْلان تأبى أن تأكل هذه القاذورات بينما الهنادكة لا يأكلونها فقط بل إنهم يتطهرون من الذنوب بأكلها.

وحدث لي مرة حينما أردت أن أترجم كتاب منّو سمرتي أني أردت تحري الصدق إلى آخر درجة فوضعت أمامي أربع ترجمات له: الأردية والهندية والإنكليزية والسنسكريتية واستأجرت عالماً من علماء الهنادكة فكنت أقرأ الترجمات الثلاث فإذا وجدتها واحدة أطلب إلى العالم الهندوكي أن يقرأ لي الترجمة السنسكريتية فإذا وجدتها مثل باقي الترجمات ترجمتها وإذا رأيتها اختلفت عنها أعود إلى الأصل السنسكريتي. وقلما حصل هذا.

وكنت أكرم هذا العالم الهندوكي إكراماً كثيراً لكي يظل معي إلى النهاية وصارت بيننا وحدة حال وكنت أسايره في كل شيء إذ ألبس لباساً مثل لباسه وأجلس كما يجلس لكي يستأنس بي فقال لي ذات يوم: إنك ولا شك تغتسل كل يوم. قلت: بل أغتسل أكثر من مرة في اليوم أيام الحر. فقال: وبماذا تغتسل؟ قلت: بالماء. قال: لست أعني هذا بل أقصد بماذا تنظف بدنك؟ قلت: بالصابون. قال لي: آه يا سيدي لو كنت تطلي جسمك بخثي البقر فإنه يطهرك وله رغوة تفوق رغوة الصابون. ولعله نسي أن يقول: وأن له رائحة تفوق

رائحة المسك والعنبر!! . فانظروا إلى هذا الجنون وهذا التدني الخلقي في هذا العصر! .

ثم إن الهنادكة قسموا أنفسهم إلى أربع فرق أو طبقات اجتماعية رئيسية واختصوا كل طبقة من هذه الطبقات بعمل تعمله في الحياة ولا تتعداه وهذه الطبقات هي : برهمن، كشترى، ويش، شودر، فالبرهمن رجل الدين والحاكم المطلق، والكشترى هو الجندي، والويش هو الفلاح والتاجر، والشودر هو المنبوذ وعمله خدمة الفرق الثلاث آنفة الذكر، ثم بعد هذه الفرق الأربع الرئيسية هناك عشرات من الفرق الدنيئة وهي دون المنبوذين ولكل فرقة منها عمل خاص (كل هذا مفصل في منّو سمرتي فليرجع إليه) .

ولما كانت حياة الهندوكي كلها خيال في خيال، فقد قسم الهنادكة حياتهم الدنيوية إلى أربعة أدوار وافترضوا أن عمر الإنسان مائة سنة، فعلى الهندوكي من الفرق الثلاث الرئيسية أن يقضي ٢٥ سنة الأولية من حياته في تعلم علوم الدين وفي هذه المدة يترك المرء دار أبيه ويذهب ليعيش مع عالم يعلمه أمور دينه ويكون عمل التلميذ التسول له ولبيت أستاذه ويخدم أستاذه حتى تنتهي مدة التعليم. فمتى انتهى المرء من هذا الدور يأتي دور العمل ويترك التلميذ دار أستاذه ويتزوج وينسل الأولاد وإذا لم يرزق ولداً من زوجته أرسل زوجته إلى من تحبل منه ويكون هذا المولود ابن زوج المرأة وليس ابن الرجل الذي هو من نطفته. وفي الهند رجال يقومون بهذه المهمة ـ لوجه الله ـ أو بأجر معلوم. (انظر باب الزنى الشرعي في كتاب منّو سمرتي ففيه كل تفصيل) .

فهل مثل هذه العقائد والأعمال والممارسات يمكن أن يقبلها إنسان في أي عصر من العصور؟! . إن بعض الحيوانات تغار على أنثاها ولا تدع ذكراً يقربها ولكن الهنادكة يهمهم الولد من أينما جاء.

وبعد أن يقضي المرء ٢٥ سنة في دور العمل يأتي دور العبادة، وفي هذا الدور يترك المرء العمل ويعيش عالة على ذويه وعلى المجتمع كما كان في

الدور الأول. وبعد هذا الدور يأتي الدور الرابع وهو دور الزهد أو دور الانتحار الشرعي فيترك المرء منزله وأهله ويعيش كالحيوانات في الغابات يأكل من العشب ويعيش في الكهوف إلى أن يأتيه الموت أو أن ينتحر بطرق خاصة مذكورة في منّو سمرتي. فهل هذه الأحكام قابلة للتطبيق وللعمل أم هي أساطير تدعو إلى البكاء والرثاء على عقول أصحابها؟ لا سيما أن النظرية فاسدة من أساسها لأن متوسط عمر الإنسان فيما مضى لم يكن يتجاوز ٥٠ سنة فمن أين يأتي ببقية السنين لكي يتم هذه الواجبات أو هذه السخافات؟!(١). ومن غريب أمر الهنادكة أنهم يرون أن المرء لا يستطيع أن ينتقل من فرقة إلى فرقة إلا بالتناسخ فإن كان صالح الأعمال ولد في دار فرقةٍ فوق فرقته وإن كان سيء الأعمال ولد في دار فرقة دون فرقته وقد يصير المرء بعمله الصالح إلٰهاً ويندمج في الله وقد ينحط بعمله السيء حتى يصبح حشرة أو جماداً. (كل هذا موجود في منو سمرتي).

لقد حكم المسلمون شبه القارة الهندية ـ الباكستانية اثني عشر قرناً، وإذا كان لهم فضل كبير في جعل الهند بلاداً عامرة، وخلقوا فيها إمبراطوريات، ونشروا دين العقل حتى أصبحت البلاد تضم اليوم ٣٥٠ مليون مسلم اعتنقوا الإسلام طائعين مختارين متأثرين بأخلاق مواطنيهم المسلمين، ولولا أنَّ المسلمين أهملوا واجباً كبيراً وهو دعوة الهنادكة إلى الإسلام كما قال تعالى: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**. لما بقي اليوم في الهند من يعتنق الهندوكية ولكن المسلمين قصروا بهذا الواجب بحجة أنه لا إكراه في الدين. وهذا صحيح لو كانت الهندوكية ديناً ولكن ما هم عليه هو أساطير وسخافات وجهل وحماقات إذا لم نقل إنها جنون وإفك. وإن المسلمين الأوائل، أيام سلطانهم، مؤاخذون في نظري على ترك الهنادكة في عماياتهم ولو بذلوا شيئاً قليلاً من النصح والإرشاد المنظم لتغير وجه الهند. ومن الجرائم التي كان الهنادكة يرتكبونها أنهم كانوا إذا مات لهم ميت حرقت زوجته

(١) وبموجب هذا التشريع يعمل المرء ربع عمره ويعيش ثلاثة أرباعه عالة على المجتمع.

حية فوقه فلما استقر المقام بالإنكليز في الهند نهوا عن هذه الجريمة وعاقبوا عليها فقامت قيامة الهنادكة ضد هذا التحريم لأنهم عدوه تدخلاً في شؤونهم الدينية ولكن الإنكليز أصروا على المنع وعاقبوا عليه ومع ذلك فقد ظلت بعض النساء يفضلن أن يحرقن أنفسهن فوق أزواجهن تفادياً مما ينتظر الأرملة من احتقار وتعذيب وظلم ولكن هذا كان قليل الحصول.

وأما تقديس القردة فإليكم هذا المثال عليه: حدث أن أتى الهند في العشرينات نائب ملك جديد، وأظن أنه كان لورد ريدنك[1]، فهاله ما رأى من كثرة القردة في دلهي فقرر تطهير المدينة من هذه الحيوانات كريهة المنظر سيئة الفعل كثيرة الأذى للناس إذ أنها تدخل المنازل من كل منفذ وتسرق الطعام وتهاجم حوانيت بائعي الفاكهة والخضار وتسلب ما تريد ولا يستطيع أحد إيذاءها لأنها مقدسة، فلما علم الهنادكة بعزم نائب الملك هذا ثاروا واعترضوا على هذا العمل لأنه إهانة لدينهم ولعقيدتهم ولم يهدأوا إلا بعد أن أفهمتهم الحكومة أنها لا تريد شراً بهذه الحيوانات بل إنها تريد أن تنقلها من العاصمة إلى الغابات لتعيش في نعيم، وهكذا فقد استطاعت الحكومة، آنذاك، أن تجمع ٢٥ ألف قرد من مدينة دلهي وحدها وما زال إلى اليوم في دلهي وفي غيرها من بلاد الهند عدد لا بأس به من القردة التي تمشي على أربع بالإضافة إلى القردة الممسوخة التي تمشي على رجلين.

ومع ما هو عليه الهندوكي من اعتقادات يخجل منها الحيوان الأعجم لو كان يعقل فإنهم يرون أنفسهم شعب الله المختار ولا شك أن إلهاً يختار مثل هذا الشعب هو مثله. ومن الأمثلة على نظرة الهندوكي إلى المسلم نظرة تحقير وإهانة أنه حدث أن غرقت سفينة في نهر فأسرع بعض المسلمين لإنقاذ ركابها الهنادكة فأبى هؤلاء أن ينقذهم مسلمون لكي لا يتنجسوا بهم فغرق منهم من غرق، ولكن المسلمين بدافع الإنسانية لم يبالوا برفض الهنادكة بل عملوا جهدهم لإنقاذ من استطاعوا إنقاذه. ربما يظن من لا يعرف الهنادكة والهندوكية

(١) REEDING

أن في هذا القـول مبالغة ولكنه هو الواقع الذي ذكرته الجرائد الهندوكية وغير الهندوكية وتناقلته الأخبار في حينه وليس هذا هو الحادث الوحيد بل كل يوم نجد حادثة شبيهة به.

ومن عادات الهنادكة أنهم كانوا في القديم وما زالوا إلى اليوم يضعون أمام حوانيتهم خوابي كبيرة فيها ماء للشرب يقدم مجاناً للهندوكي وحدث أن أحد أصدقائي وهو من العلماء الأفاضل وكان مسافراً في السند فوصل إلى قرية وقد أنهكه العطش فنزل من السيارة وذهب إلى حانوت يطلب قارورة ماء مصنع مثل، الكولا والبيبسي، وغيرها فلم يجد ولكنه وجد هذه الخوابي فطلب إلى صاحب الحانوت أن يسقيه بيده لأنه هو لا يستطيع أن يمد يده ليمس الكأس أو الخابية لأنه نجس وينجسهما فأبى عليه صاحب الحانوت ذلك فذهب إلى غيره ثم إلى غيره فرفضوا كلهم أن يسقوه[1] فاضطر أن يعود إلى سيارته وهو عطشان وهذا الأمر حدث في السند الباكستانية فما بالكم لو كان في بلاد هندوستان؟!.

إن الهندوكي رجل تاجر فهو يبيع سلعته للمسلم ولغير المسلم ولكنه هو لا يشتري شيئاً من مسلم أو مسيحي لأنهما نجسين وسلعتهما نجسة وأما الدراهم التي يأخذها من المسلم فهي لا تنجسه.

قد يقول قائل إن الهنادكة الذين يخرجون من بلادهم إلى بلاد البشر للعمل أو للتجـارة وكذلك موظفي الخارجية والوفود الرسمية الذين يزورون بلاداً غير هندوكية ويندمجون في الناس ويؤاكلونهم ويتعاملون معهم ولا يتنجسون بهم ومنهم، والواقع أن هؤلاء يكونون أحد رجلين إما أنهم قد فتحوا عيونهم للنور ونزعوا من أعناقهم أغلال هذه الأساطير وأدركوا سخافتها وأنهم لم يعودوا يبالون بتعـاليم دينهم أو أنهم يفعلون ذلك مكرهين لأنهم مضطرون أن يعيشوا هذه الحياة الجـديدة، ولكن المتـزمتين منهم الذين يشعرون بارتكاب الخطيئة لا يأوون مسـاءً إلى فراشهم إلا بعد أن يغتسلوا ويخلعوا ثيابهم ويغسلوها لكي تصبح صالحة للغد، وإن غاندي نفسه حينما كان يدرس في إنكلترة كان يأكل

(١) لأنه مسلم.

لحم البقر فلما عاد إلى بلده تاب وأناب واستنكر فعلته أو بالأحرى رجع إلى جموده وتعصبه. ولعله فعل ذلك لكي لا يضيع مركزه الزعامي بين أبناء قومه لا سيما وأن غاندي من الطبقة الثالثة أي الطبقة التي تعمل بالزراعة والتجارة وهي الطبقة التي تأتي فوق طبقة المنبوذين مباشرة ولذا فقد منحه قومه لقب مهاتما (أي الروح الأعظم) ورفعوه بذلك فوق درجة البراهمة لكي يستطيع أن يقود جموعهم. والهندوكي مثل اليهودي في تصرفاته فكما أنه لا يجوز لليهودي أن يعمل أي عمل حتى ولا أن يطبخ طعامه أو يغسل ثوبه يوم السبت لأنه يوم راحة تامة له، فإننا نراه عند الحاجة وعندما تكون مصلحته في العمل فإنه لا يعمل عملاً إنسانياً فقط بل إنه يحمل البندقية ويقتل المسلم وغير المسلم ولا يرى في ذلك حرجاً، لا بل فإنه يحصل على الأجر والثواب، وهكذا شأن الهندوكي يفعل خارج بلاده كل شيء فإذا عاد إلى بلاده عاد إلى جموده وجحوده.

يوجد اليوم في هندوستان وباكستان وبنغلاديش ما لا يقل عن ٣٥٠ مليون مسلم أنقذوا أنفسهم طائعين مختارين، على مدى اثني عشر قرناً، من أساطير الهندوكية وسخافاتها. وأقول إنهم أنقذوا أنفسهم لأن ٩٩٪ منهم من أصل هندوكي تركوا خرافاتهم واعتنقوا الإسلام ولو عمل المسلمون بموجب تعاليم دينهم وباسم الإنسانية ودعوا الهنادكة إلى الإسلام، حتى ولو بالترغيب أو الترهيب، لزالت هذه السخافات من الأرض ولما بقي إنسان يدين بدين اسمه هندوكي ولكان عمل المسلمين هذا من أعظم الحسنات على الهنادكة وعلى الإنسانية، لأن إنقاذ هؤلاء الناس من هذه الخرافات أشبه بإنقاذ الغريق من البحر أو العاجز من الحريق. وتعصب الهندوكية وأساطيرها غير المعقولة هي التي جعلت جماعة منهم ينشقون عنها ويُنشئون الدين البوذي كما انشقت عن الهندوكية جماعة أخرى تسمي نفسها (جين) فالهنادكة إذن كانوا مستعدين أن يتركوا عقائدهم لو تسنى لهم من يهديهم إلى الصراط المستقيم ولا أدلَّ على ذلك من وجود ٣٥٠ مليون مسلم في هذه البلاد.

لقد نجح الإسلام نجاحاً كبيراً في شبه القارة الهندية الباكستانية إذ اعتنق

الإسلام هذ العدد الكبير بينما لم تنجح الدعوة المسيحية في الهند على الرغم من الجهود الكثيرة التي بذلت والأموال الضخمة التي أنفقت وآلاف المبشرين والمبشرات من جميع أمم الغرب من كاثوليك وبروتستانت الذين عملوا ويعملون دائبين بلا كللٍ أو ملل، بالترغيب والترهيب، ولم يستطيعوا أن يدخلوا في دينهم إلا عدداً ضئيلاً من المنبوذين الذين طمعوا بالانتساب إلى المسيحية لكي يرفعوا من شأن أنفسهم في المجتمع ولكنهم ظلوا منبوذين وما كانوا إلا أفراداً قلائل، ويبلغ عدد المسيحيين اليوم في كل شبه القارة ٢٠ مليون نسمة بما فيهم الأوربيون الذين اختاروا الهند وطناً لهم.

ومن غريب ما قاله زعماء الهنادكة قبل التقسيم وكرروه مرات وما زالوا يكررونه: أن الهند للهنادكة وحدهم وما على المسلمين إلا أن يرجعوا من حيث أتوا أي أن يرجعوا إلى شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام، وقد فات هؤلاء المغرورين أن ٩٩٪ من المسلمين الموجودين في الهند هم من أصل هندوكي اعتنقوا الإسلام طوعاً واختياراً وهم أهل البلاد مثل غيرهم من الهنادكة، ومثل هذا القول يقوله اليهود لعرب فلسطين.

إن من يطالع هذا الكتاب ويرى ما أصاب المسلمين وما ينتظرهم أيضاً من إخوانهم في الوطن والإنسانية يقشعر جلده ويحمر وجهه خجلاً، وإذا تساهل في الأمر فإنه يظن أن ما قد حصل كان من أعمال سفهاء القوم ولكنه حينما يعلم أن كل هذا كان بتدبير وإرشاد من زعمائهم ورؤسائهم يدرك أن الهندوكي ما زال يحتاج إلى أن يطوي مراحل كثيرة من الزمن حتى يدرك منزلة الإنسان العادي. وأن ما ينتظر المسلمين في الهند من ويلات واحن ومصائب ومحن واعتداءات وظلم قد يعجز عنها البيان مما نراه ونسمعه في تصريحات زعمائهم وما يدبرونه من مؤامرات.

وإذا كنت أنا أستعمل كلاماً مهذباً في وصف الهنادكة فقد قرأت لبعض الكتاب الأجانب أقوالاً في وصف الهنادكة تنزلهم منزلة دنيئة جداً وإذا كنت لا أود أن أخوض بكل ما كتبوه أو قالوه فإني أكتفي بشاهد واحد حدث في

العشرينات يوم زارت الأديبة الأميركية آرثر مايلز الهند ورأت ما رأت من تأخر الهنادكة وتعصبهم وبعدهم عن الإنسانية فكتبت كتاباً بعنوان (أرض الفرج)[1] قالت فيه ما يلي: (لا يمكن أن تكون الهند أمة قط حتى تكنس منها الهندوكية مع خرافاتها وطقوسها الوحشية)[2]. فانظروا إلى كلمة (تكنس) وهي على حق فيما تقول لأن الهندوكية بشكلها الأصلي وبموجب تعاليمها تسيء إلى سمعة البشرية كلها وتبعد الهندوكي عن الإنسانية لا بل تجعل منه مخلوقاً شاذاً.

كنا نود أن نطوي هذه الصفحة السوداء ولا نشير إليها من قريب أو بعيد لأننا كنا نود أن نعتبر ما حصل في الماضي وما جاء في أساطير القوم إنما هو نزوة شيطان من فريق من الجهلاء المأفونين ولكننا بعد أن رأينا ما ارتكبه الهنادكة من أعمال بعد التقسيم وما يرتكبونه اليوم أيضاً وما ينذرون المسلمين بفعله غداً أدركنا أننا ما زلنا اليوم أمام أولئك الناس الذين كانوا قبل أربعة آلاف سنة يعوزهم التفكير السليم وفهم معنى الإنسانية وأنهم لم يتغيروا بل ازدادوا غلواً وصلفاً وعداءً للإنسان وللإنسانية وأنهم ما زالوا كما كانوا من قبل لا يتركون فرصة تسنح لهم للكيد للمسلمين إلا اهتبلوها. وأن المذابح التي حدثت بعد التقسيم ما زالت مستمرة إلى اليوم في بعض النواحي وأن المجرمين يلقون الدعم والتأييد سراً وجهراً من رجال الدولة.

لقد تم تقسيم البلاد بين الهنادكة والمسلمين باتفاق الطرفين وبإشراف الإنكليز واتفق الطرفان على اقتسام البلاد واقتسام الأموال والموجودات الثابتة

---

(١) هذا النص الأصلي كما جاء في الصفحة ٧ من الكتاب المذكور:

The Land of Lingam   India can never be a nation until Hinduism with its Superstitions and beastly rites is swept out.   Arthur Milles

(٢) وزار الهند مراسل صحيفة الفيغارو Le Figaro الفرنسية الشهيرة تييري ديجردن THIERRY DESJARDINS وكتب مقالاً نشر في الجريدة المذكورة في ١٢/١٠/١٩٧٤، يصف فيه الهنادكة والهندوكية وطقوسها وما عند الهنادكة من قذارة جسمية وروحية بكلمات لا تقل قباحة عما ذكرته السيدة مايلز، مما يدل على أن الهندوكي لا يتغير ولا يتطور وإن الهنادكة اليوم كما كانوا من قبل وسيظلون كذلك حتى يغيروا عقيدتهم.

والمتحركة مثل الأموال الموجودة في الخزينة والأماكن الرسمية والأبنية العامة والقطارات وغيرها من موجودات الدولة، وعلى أن يبقى الهنادكة الذين وقعوا في نصيب الباكستان مواطنين باكستانيين لهم ما للباكستانيين وعليهم ما عليهم وأن يكون المسلمون الذين وقعوا في نصيب هندوستان مواطنين هنوداً لهم ما للهنادكة وعليهم ما عليهم وبهذا أوصى باني باكستان محمد علي جناح وحضّ عليه وبهذه الصورة الإنسانية عامل الباكستانيون مواطنيهم من الهنادكة، ولكن الذي حدث في هندوستان هو عكس ذلك تماماً إذ أن الهنادكة ضموا كل الأموال التي في الخزينة وأنكروا على باكستان حصتها كما أنهم اعتدوا على إمارة حيدر آباد واستولوا عليها عنوة ونهبوا كنوزها الوفيرة واعتدوا على كشمير واستولوا على ثلاثة أرباعها واعتدوا على جوناكده[1] وغيرها واعتدوا على القطارات الحديدية ثم إنهم انقضوا على المسلمين يقتلونهم قتلاً ذريعاً كما أشار المؤلف إلى ذلك مما ترون تفصيله في متن الكتاب. ولما رأى المسلمون في الهند اعتداءات الهنادكة عليهم أدركوا أن لا مقام لهم فيها ورغبوا بالهجرة إلى باكستان فكانت الحكومة الهندوكية تحشرهم في قطارات بحجة إرسالهم إلى باكستان وفي الوقت نفسه تقوم عصابات هندوكية مسلحة تعترض القطارات وتقتل من فيها وتسبي النساء وتنهب الأموال ولم يكن يصل إلى باكستان إلا بقية الشيوخ ليخبروا قومهم بما حدث. وكانت هذه الحوادث تتكرر كل يوم فالذين لم يقتلوا في الهند في منازلهم أو حرقوا أحياء أو ماتوا تحت الردم فقد قتلوا في القطارات أو الشاحنات التي حملتهم أو قتلوا وهم فارين على الأقدام. فكم وكم من امرأة فقدت زوجها وأطفالها، وكم من أطفال فقدوا آباءهم وأمهاتهم، وكم من نساء اغتصبن وأجبرن على اعتناق الهندوكية وهن لا يزلن إلى اليوم هنادكة وانقطعت صلتهن بعالمهن أو أنهن أصبحن لا يعرفن عن ذويهن شيئاً ولا سيما الصغار من الجنسين.

إن ١٥٠ مليون مسلم في الهند ما زالوا إلى اليوم مظلومين مضطهدين

---

(١) JUNAGADH

معـذبين يعيشون حياة خوف ورعب وعدم اطمئنان وإرهاب وهم مهددون في دينهم وعقيدتهم ولغتهم وإن ما نسمعه كل يوم من اعتداءات على المسلمين في أحمد آباد وغيرها وما يلحقه الهنادكة بالمسلمين من قتل وهتك وفتك واعتداء واغتصاب يجعلنا نخرج عن عالمنا لنعود إلى حياة الغاب لا بل كانت حياة الغاب أفضل من حياة المسلم في هندوستان اليوم. وليس هذا القول من نوع المبالغة أو التهويش بل هو الحقيقة الراهنة يلمسها كل الذين يعيشون في تلك البلاد.
فقد ذهبت إلى الهند سنة ١٩٨٥ واجتمعت ببعض المسلمين ورأيت ما أحزنني وأبكاني. وسبب تمادي الهنادكة في الإساءة إلى المسلمين واضطهادهم إياهم يعود في نظري إلى أسباب كثيرة منها:

١ - إن المسلمين في العـالم والعرب منهم خاصة يعيشون في برج عاجي لا يعلمـون شيئاً مما يجري في تلك البلاد ولا ما يقاسي ١٥٠ مليون مسلم يعيشون في الهند من ظلم واضطهاد وسبب ذلك إما الجهل بما هنالك أو عدم المبـالاة بمـا يحدث فإذا كان حكام العرب من مسلمين يجهلون ما يجري في الهند فالذنب ذنب سفرائهم الذين يحصرون أعمالهم بحضور الحفـلات وإقامة المآدب وشراء الأشياء النفيسة وشمه الهواء وأما إذا كانوا يكتبون إلى حكوماتهم بالواقع والحكومات لا تهتم بما يقولون فها أنا اليوم أقـوم بهـذا الواجب وأبلغ أولي الأمر بما هو كائن. فهل يصل صوتي إلى آذانهم؟ أرجو أن يتم ذلك.

إني لا أشك أنـه لو علم ملوك العرب وأمراؤهم ورؤساؤهم وزعماؤهم وصحافتهم وعلماؤهم بما يقاسيه إخوانهم في هندوستان لانتصروا لهم.

٢ - إن الهنادكة يخدعون العرب بتصرفاتهم فهم كلما ضربوا المسلمين ضربة في بلادهم طار وزير أو وزراء منهم إلى بعض الدول العربية يعقد المعاهدات التجارية والاقتصادية والثقافية وغيرها ويوثق الصداقات وكأن شيئاً لم يحدث. ونحن العرب نستقبل هؤلاء المجرمين الذين قتلوا إخواننا وخربوا ديارنا ونهبوا أموالنا، بكل ترحاب ولا نسألهم عن حال إخواننا عندهم وما لهم من حقوق وما

عليهم من واجبات وكأن أمرهم لا يعنينا. ولو كنا نحن العرب والمسلمين يقظين عالمين بأحوال إخواننا في الهند لكان لنا شأن غير هذا الشأن مع الهنادكة فنحن إذا أعطينا يجب أن نأخذ بقدر عطائنا أما أن نظل نعطي ولا نأخذ فإننا نكون أحد شخصين: إما أننا بله ولا نعلم من أمور أنفسنا شيئاً أو أننا نرضى بالذل والعار والهوان، ويلذ لنا أن نكون مستعبدين مهانين أذلاء، وهذه خطة لا يرضى بها أبيٌّ عاقل. فالإسلام والذل لا يجتمعان، والمهانة والعبودية لا تلتقيان مع العزة والكرامة.

لقد اعتدت هندوستان سنة ١٩٧٢ على باكستان وشطرتها إلى شطرين: باكستان وبنغلاديش بواسطة عميل من عملائها هو مجيب «الشيطان»، واشتركت الهند في الحرب ضد باكستان بصورة علنية، وضربت الطائرات الهندوكية مدينة كراتشي بالقنابل، واشترك ضباط من إسرائيل بالحرب إلى جانب الهنادكة ضد باكستان، وقبل أن تلتئم الجراح طار وزراء هنادكة إلى البلاد العربية يعقدون معهم الاتفاقات وكأن الذي ضرب باكستان وشطرها شطرين وشرد عشرة ملايين مسلم وقضى على مئات الآلاف من الأرواح وخرب الديار هم غيرهم. وطارت أنديرا غاندي إلى العالم تجمع الدراهم لإعانة المنكوبين في الظاهر ولكي تساعد الثوار في الحقيقة.

إن التواد والتساهل بين الأقوام شيء حسن لا بل مطلوب ومرغوب فيه لأننا كلنا لآدم وآدم من تراب وهذا ما يأمرنا به ديننا ولكن الغباء واستهتار المرء بحقه سيء جداً ودليل على هوان النفس، وإذا هانت النفس على صاحبها كانت على غيره أهون وأحقر، ورحم الله الشاعر القائل:

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها كانت على الناس أهونا

في البلاد العربية الآن نحو مليون هندوكي يعيشون فيها على حساب رزق أبناء البلاد بالإضافة إلى المبادلات التجارية التي تعود على هندوستان بحصة الأسد بينما لا يجد المسلم الهندي في بلاده عملاً يعيش منه فإذا كان لا بد من

التعامل مع الهند فلماذا لا نشترط أن يكون الهنود الذين يعملون عندنا من أطباء ومهندسين وخبراء وعمال من المسلمين الهنود؟ وماذا يمنع الدول العربية حينما تفتح يدها بالعطاء للهنادكة أن تطلب إليهم إنصاف المسلمين الهنود في بلادهم؟ لقد استطاع زعماء الهنادكة وعلى رأسهم غاندي ونهرو أن يخدعوا الشعوب الهندية غير الهندوكية وأن يضموها إليهم يوم التقسيم. ومن هذه الأقوام: المنبوذون، والسيخ، ، ولكن هؤلاء وأولئك أدركوا غلطتهم وقام السيخ الآن يطالبون بحريتهم بقوة السلاح لأن الدم يسيل دماء ظالمة ولكنه يسيل دماء بريئة أيضاً ودم الإنسان أمانة من الله عنده فلا يحق لإنسان أن يهدر دمه أو دم غيره إلا في سبيل الله. ثم إن الذين يدعون الناس إلى الثورات الدموية يدفعون غيرهم إليها ويبقون هم وأولادهم في نجوة عما يحدث ينتظرون الفرصة لأخذ حصتهم من الغنيمة إذا كتب النجاح للثورة ولكنهم لا يشاركون الشعب بالبلاء إذا حل بهم. وهذا ما يأباه كل كريم أبيّ النفس، ثم إن ما يمكن أن يؤخذ بالقوة يمكن، ولو بطول الزمن، أن يؤخذ بالمنطق والحكمة أيضاً والحق هو المنتصر دائماً، والدنيا كلها مصالح ولكل عمل أجر وعوض.

والأجر هو تبادل المصالح، فحين أعطي وآخذ أكون قد استوفيت حقي أو بعض حقي وأما حينما أعطي ولا آخذ أو أظل أعطي وخصمي يأخذ، وجاري أو من يدعي صداقتي يأخذ فمعنى ذلك أني أجير أو عبد عليَّ واجبات وليس لي حقوق أو أن القضية قضية قوي يأخذ، وضعيف يعطي، ولا يضر الدول أن تكون كبيرة أو صغيرة لكي تتعايش بحرية وأخوة وصفاء، فها نحن نجد في أوروبا دولاً صغيرة جداً تعيش إلى جانب دول كبيرة عيشة رخاء ورضا وهناء، فلا تطمع الكبيرة بالصغيرة ولا تخشى الصغيرة اعتداء الكبيرة عليها مثل إمارة موناكو ولوكسمبورغ وليختنشاين وأندورا وغيرها.

إن هندوستان في وضعها الحاضر وما فيها من أقوام، وأديان، ولغات، وعروق، ومذاهب اجتماعية، وغير اجتماعية، تركيبة غير سليمة في حد ذاتها ولا يمكن دوامها على هذا النمط لأنها أشبه بمزج الطين بالعسل أو الحلويات

بالبصل. فإذا كان هذا غير ممكن فكذلك بقاء الهند على ما هي عليه غير ممكن أيضاً ولذا فإنه لا بد لهذا العقد المصطنع من أن ينفرط في يوم من الأيام بل يجب أن ينفرط لكي تعيش كل الأقوام الموجودة في هذه البقعة من العالم بحرية في نطاق عقائدها وعاداتها وتقاليدها ولغاتها، وما حالة الهند اليوم مع باقي الأقوام إلا استعمار مبطن، ولا بد من أن تتحرر هذه الشعوب الكثيرة ذات الثقافات المتعددة والتقاليد المختلفة، لكي يصبح الجميع في نطاق أخوة واسعة وحرية تامة، فإذا شاءت هندوستان أن تحفظ نفسها من الانهيار المفاجىء أو من الثورات الداخلية ومن إراقة الدماء فما عليها إلا أن تعطي هذه الشعوب استقلالها الداخلي ليعيش الجميع في حرية وكرامة، وإذا كان السيخ قد خدعوا بادىء الأمر ومشوا في ركاب الهنادكة، فهاهم اليوم قد أدركوا غلطتهم وقاموا يطالبون بحريتهم بسفك الدماء ومتى نال السيخ استقلالهم، وهذا آت ولا شك، فسوف يقوم أهل الجنوب، وهم أهل البلاد الأصليون، وسيقوم أهل البنغال ويقوم التاميل وغيرهم ويطالبون بالاستقلال، وهذا أمر معقول ومنطقي، والوضع الحاضر ليس بمعقول ولا منطقي قط، إذ كيف يرضى مسلم أو مجوسي أو بوذي أو مسيحي أن تفرض الحكومة على ابنه أن يتعلم الديانة الهندوكية في بلاد تدعي أنها علمانية؟ أو كيف يمكن أن تستأثر فرقة من الناس وهم الهنادكة بخيرات البلاد وإدارتها، وغيرها محروم ينظر بعينه ويتحسر؟ إن الغرور ما زال يركب رؤوس الهنادكة إذ أصابهم ما يصيب المفلس إذا وجد كنزاً فيصبح نظره إلى غيره نظرة فوقية.

وإذا لم يدرك الهنادكة هذه الحقيقة فسيأتي يوم لا نجد من هندوستان الموجودة حالياً إلا الاسم وربما زال الاسم أيضاً وأصبح يطلق على هذه البقعة من الأرض أسماء كثيرة أو أنها ستكون هندوستان القائمة على الحديد والنار كما هي حالها اليوم. فهي تعيش على بركان ساكن لا بد وأن ينفجر في يوم من الأيام، وربما فجره أقرب الذين يَدَّعون صداقتهم للهنادكة وهم الشيوعيون.

إن الظلم مرتعه وخيم وقد يستكين المظلوم ولكنه لا يستخذي ولا ينسى

ظلامته، ولا بد له من أن ينهض ليستعيد حريته، والأمثلة أمامنا اليوم كثيرة وهي دون ما هي عليه القضية الهندوكية، فهناك صراع بين إنكلترا وإيرلندا، وآخر بين إسبانيا والباسك، وثالث بين جنوب السودان وشمالها، ورابع بين أهل الفلبين، وخامس بين البيض من أهل جنوب إفريقيا والسود، وهناك صراع بين إسرائيل وأهل فلسطين، وبين إنكلترا والأرجنتين من أجل جزر فوكلند، وكل أولئك تدل على أن تركيبة الهند تركيبة مهلهلة وغير سليمة ولا بد لها من أن تتفكك وتنفرط عاجلاً أو آجلاً.

ولكي تستر هندوستان استعمارها عن العيون قالت إنها بلد علماني وهي ليست بعلمانية قط، بل هي هندوكية متعصبة جائرة معتدية، ثم لو فرضنا جدلاً أنها علمانية فمتى كانت العلمانية رباطاً بين أقوام مختلفين في كل شيء من أمور الحياة؟ إن العلمانية هي غير ما هي عليه الهند تماماً والعلمانية لا تكون بفرض عقائد خاصة على كل الناس على حد سواء كما تفعل الهند. ففي الهند أقوام كثيرة وليس بينها أي رباط فكل منطقة لها تقاليدها وعاداتها وعقائدها لا بل وطعامها ولباسها وشرابها، والذي يعرف الهند إذا نظر إلى شخص من أهلها يعرفه من أي قوم ودين وبلد ومذهب من لباسه أو حتى من تكوير عمامته أو ردائه أو غير ذلك. فكيف يمكن صهر كل هذه الأقوام متعددة الجنسيات والعروق واللغات والأزياء والآراء والعقائد في بوتقة واحدة؟!.

إن هذا مستحيل ولا يمكن أن يتم أبداً لأنه مزيج غير سليم وغير طبيعي. ومع ما يقاسيه المسلمون من ظلم الهنادكة وجورهم واعتداءاتهم فإني أرجو ألا يظنوا أني أطلب إليهم أن ينهضوا ويطالبوا بحريتهم بالقتل وإراقة الدماء بل أطلب إليهم العمل بالعقل والحكمة والأخوة لأن الهنادكة جبلوا على الشر وهم ينتظرون حركة من المسلمين لكي يبيدوهم ولذلك فإني أنصح بالتزام طريق السلام والمحبة والعمل بالإقناع وذلك لسببين اثنين:

أولهما: هو أني لا أستبيح سفك الدماء مهما كان السبب ولا أرى أن نبدأ حياتنا هذه بالعنف لأن العنف من الأقوام المستضعفة يجر الويل عليهم، بل

يجب أن يعمل المسلمون بالمنطق والمحبة والسلام لكي يعيشوا في وطنهم مع إخوانهم من الهنادكة وغير الهنادكة إخواناً متحابين.

الثاني: أن كل حركة تظهر في هندوستان ولا سيما إذا كان القائمون عليها مسلمين تتهم باكستان بالتحريض عليها، بل كل ما أراه وأدعو إليه بإخلاص هو أن تطالب البلاد العربية والإسلامية هندوستان بأن تعطي المسلمين الهنود حقوقهم وأن تسمح لهم بتنظيم أنفسهم تنظيماً سياسياً واجتماعياً وعلمياً في نطاق تعاليم دينهم وفي نطاق إمبراطورية هندية تضم كل الأقوام وبذلك تضمن هندوستان دوام بقائها كما تضمن الأقليات حريتها.

لقد مضى زمن في عهد الإمبراطورية المغولية الإسلامية حيث كانت الهند موحدة وكانت كذلك زمن الاستعمار الإنكليزي فلماذا لا تكون الآن كذلك؟.

ولكن يجب ألا يفوت المرء أن يعلم أن في كلا الزمنين لم تكن الحكومة المركزية مسيطرة سيطرة مباشرة على كل الهند بل كان يوجد زمن الإنكليز أكثر من ٦٠٠ إمارة شبه مستقلة في الهند ولكنها كلها كانت تدين بالولاء للمركز الذي كانت بيديه أمور الخارجية والدفاع والمواصلات وما أشبه ذلك.

وللوصول إلى مثل هذه النتيجة المعقولة أرى من واجب الدول العربية أن تكون على صلة مستمرة بمسلمي الهند تستطلع أخبارهم وتعالج شؤونهم، وتعامل هندوستان معاملة قائمة على تبادل المنافع واحترام الحقوق، وأن ترسل مرة أو مرتين في السنة مندوبين عنها يدرسون أوضاع المسلمين ويستطلعون أخبارهم وبذلك يمكن الاطمئنان عليهم وإيصالهم إلى حقوقهم وإلا فإن المسلمين مهددون في دينهم وعقيدتهم ولغتهم، لا بل فإن الإسلام ذاته في خطر.

وخلاصة القول يجب على هندوستان أن تراجع نفسها وأن تحقق بالفعل ما تدعيه بالكلام من أنها بلد علماني لا كما هي اليوم أمة متعصبة متزمتة جائرة

تمثل أسوأ حالات التعصب وإلا كانت علمانيتها التي تدعيها من قبيل تسمية الأشياء بأضدادها كما نسمي الأعمى بصيراً والملدوغ سليماً، والعطشان رياناً، والعبد مولى.

أو أن علمانيتها لذر الرماد في العيون، ولئن كان هذا يخدع كل الناس لوقت محدود فإنه لا يخدعهم على الدوام، أو إن كان يخدع البعض الذي يريد أن ينخدع فإنه لا يمكن أن يخدع الكل الذي يفتح عينيه ليرى وأذنيه ليسمع لا سيما وقد تقاربت البلاد وانكشفت المعميات ولم يعد مجال للتلفيق والخداع.

وإني لا أشك بأن في الهند رجالات عقلاء يدركون الأمور على وجهها وقد سمعت بعضهم ينبه قومه إلى سوء العاقبة إذا استمروا على هذه السياسة وأن لهم من أحداث الماضي دروساً يجب أن يفيدوا منها لكي لا يأتي يوم يندمون فيه على ما فرطوا وعلى ما تكبروا وتجبروا ولات ساعة مندم، إذ يكون الأمر قد خرج من أيديهم ومن أيدي العرب والمسلمين لا بل ومن أيدي العقلاء وتولي الأمور غوغاء الناس، وتلك هي الطامة الكبرى.

والملاحظة الأخيرة التي يجب أن يعرفها القارىء هي أنه قد مضى على طبع هذا الكتاب ١٧ سنة وأن الأحوال قد تغيرت ولكن إلى أسوأ مما كانت عليه، وما زال الهنادكة يمارسون ظلمهم وعدوانهم واعتداءاتهم اليوم كما كانوا في الأمس بل إن ما ارتكبوه بعد كتابة هذا الكتاب وما يرتكبونه اليوم أيضاً لا يقل عما فعلوه من قبل وإنما هم اليوم يسيرون بطرق علمية مدروسة للقضاء على الإسلام والمسلمين قضاءً تاماً، جسماً وروحاً وعقيدة، ولكنهم يسيرون بهدوء وتعتيم تام، وإني لعلى يقين بعد أن رأيت ما رأيت وسمعت ما سمعت بأن الجيل القادم لن يعرف شيئاً من لغته القومية ناهيكم عن لغة القرآن الكريم ولا من تاريخ بلاده، بل سيفتح عينيه وعقله على الهندوكية وسيجد أن اسمه قد تغير ودينه قد تحول وتبدل، ولكنه لن يصبح هندوكياً أصيلاً من الدرجة الممتازة أو الوسطى بل سيكون في عداد المنبوذين، وإذا كان بعض مسلمي الأندلس الذين قدر لهم البقاء في البلاد بعد رحيل المسلمين عنها، قد أصبحوا مسيحيين فإن الإسبان

لا يفرقون بينهم وبين المسيحيين من أهل البلاد الأصليين بل أصبح الجميع سواسية في كل شيء، وأما مسلمو الهند فلن يكونوا إلا منبوذين أرقاء لا ينفعهم الانتساب إلى الهندوكية ما دام نظام الهند قائماً على الفرق والطبقات الدينية. فاسمعوا يا أيها الملوك العظام، ويا أيها الأمراء الكرام، ويا أيها السادة الرؤساء الفخام، ويا أيها الزعماء النبلاء، ويا أيها العلماء الأجلاء هذه الصيحة التي أبعثها من أعماق صدري نيابة عن إخواني وإخوانكم مسلمي الهند واعلموا بأن مأساة الأندلس لن تكون شيئاً مذكوراً أمام مأساة الهند، وأقول للذين قد استهانوا بأمر إسرائيل يوم ظهورها قد أدركوا الآن خطأهم، وليعلموا أن إسرائيل ليست إلا نقطة من بحر الهند الطامي، وإذا كان برنامج إسرائيل من الفرات إلى النيل، فإن برنامج الهنادكة من الفرات إلى ميكونغ[1]، وإذا كان يهود العالم لا يزيدون على ١٧ مليون نسمة موزعين في أرض الله الواسعة فإن الهنادكة بجميع فرقهم لا يقلون عن ٥٠٠ مليون وهم في ازدياد، وإن الكثرة لا تضر لو كانوا يحملون أفكاراً سليمة، ويؤمنون بالإنسانية، ولكنهم ليسوا من هؤلاء ولا أولئك، وهم لا يخفون نياتهم تجاه المسلمين وبرامجهم في إفنائهم.

لا تظنوا أيها المسلمون أن هذا الكتاب درس إنشاء استعمل فيه المؤلف المحترم ما عنده من كلمات وعبارات مهيجة ليحصل على شهادة بحسن الإنشاء، بل هي حقائق في سطور أو هي صرخة من قلب جريح يستغيث ويطلب الدواء قبل حلول الأجل والبلاء.

---

(١) MEKONG نهر في الهند الصينية طوله ٤١٨٠كم ينبع من التبت ويفصل لاوس عن تايلند وكمبودجيا عن فيتنام ويصب في بحر الصين.

تنبيه

١ ـ إن كل ما جاء ذكره في هذا الكتاب مؤيد بأقوال الزعماء والصحف بالأسماء والتـواريخ ولكننـا ضربنا صفحاً عن الإشارة إلى الوثائق التي اعتمد عليها الكاتب المحترم لأنها تضيف إلى الكتاب عشرات الصحف وهي لا تفيد إلا الذين يريدون الاستعانة بها لدراسات علمية وهم قليل . ومن شاء ذلك فعليه أن يرجع إلى النسخة الإنكليزية الأصلية المطبوعة من قبل معهد الصحافة في جامعة كراتشي بعنوان علمانية الهند INDIAN SECULARISM

٢ ـ إنه لا يوجد في اللغات الأعجمية الإسلامية التي تكتب بالحروف العربية تاء مربوطة ولذا فإنهم يستعملون التاء المفتوحة مكان المربوطة لا سيما في الأسماء العلمية، وقد سار بعض الكتّاب في البلاد العربية سيرة الأعاجم في ذلك فهم يكتبون الأسماء العلمية مثل عزة وحكمة ورأفة ونصرة وغيرها من الألفاظ بالتاء المفتوحة ونحن قد اضطررنا إلى مسايرة هذه القاعدة في هذا الكتاب لكي لا يحصل التباس في الأسماء مثل لياقت وجماعت ورياست وغيرها .

٣ ـ بما أن علاقات البلاد العربية بهندوستان وباكستان علاقات حديثة فإن كثيراً من الكتّاب لا يفرقون بين لفظي هندي وهندوكي ويطلقون على جميع سكان هندوستان لفظ هنود وهي جمع هندي وهذا خطأ ويجب التفريق بين هندي وهندوكي فالهندي هو كل من يحمل الجنسية الهندية سواء أكان مسلماً أم مسيحياً أم يهودياً أم هندوكياً أم غير ذلك، والهندوكي هو كل من يدين بدين الهنادكة . ولذا قد يكون المرء هندوكياً وهندياً معاً وقد يكون هندوكياً فقط وهو

ليس بهندي بل قد يكون باكستانياً أو أفغانياً أو غير ذلك فيجب الانتباه إلى هذا.

٤ - إن كثيراً من الكتّاب يخلطون بين الهندوكي والبوذي والمجوسي بينما هذه أديان ثلاثة مختلفة وأهل الهند الذين لا يدينون بالديانات الثلاث العالمية هم هنادكة وهناك فريق ضئيل من البوذيين وأقل منهم بكثير من المجوس وهناك أديان متفرعة عن الهندوكية موجودة في الهند.

٥ - جاء في الكتاب لفظ باكستان الشرقية أو البنغال الشرقية فترجمها المترجم بشرق باكستان وشرق البنغال وهذا خطأ لأن باكستان الشرقية هي التي تسمى اليوم بنغلاديش التي انفصلت عن باكستان الغربية بمؤامرة هندوكية.

٦ - إن الهجائية العربية ينقصها ٢٢ حرفاً لكي تؤدي لفظ الكلمات الأردية على وجهها إذ بينما يوجد في الهجائية العربية ٢٨ حرفاً يوجد في الهجائية الأردية ٥٠ حرفاً لكي يستقيم اللفظ. ونحن لا نستطيع أن نفرض كل هذه الزيادات على الهجائية العربية ولكننا نرى أنه لا بد من زيادة الأحرف الأربعة التي زادها الأتراك والإيرانيون على هجائيتهما وهي پ، چ، ڤ، گ، ليستقيم لفظ الأسماء والكلمات الأردية إلى حد ما. وإذا كنت قد استعملت في بعض كتبي هذه الزيادات فإني لم أستعملها في هذا الكتاب لأن أكثر المطابع لا تملك هذه الحروف، ولأن زيادة هذه الحروف وحدها لا تكفي للفظ الاسم على وجهه تماماً ثم لكثرة الأسماء التي وردت في هذا الكتاب وفيها من الحروف غير الموجودة في العربية ولذا فقد جاءت بعض الأسماء العلمية بشكل لا يتفق مع صورتها بالأردية ولذلك فإني أشرت إلى أكثرها بالحروف اللاتينية على الرغم من أن الحروف اللاتينية أيضاً لا تفي بالمقصود إذ يوجد في الهجائية الأردية أربعة أصوات للباء، وأربعة أصوات للتاء، وأربعة أصوات للجيم، وأربعة أصوات للدال، وأربعة أصوات للراء، وصوتان للزاي، وصوتان للسين، وأربعة أصوات للكاف، وصوتان للنون، وصوتان للياء، ومع ذلك فإن إضافة الحروف الأربعة الرئيسية إلى الهجائية العربية تُصلح كثيراً من اللفظ وما لا يدرك كله لا يترك قلّه.